فكر

العلاقات التي جمعت «أمير» مكيافيللي والعالم الإسلامي

إعداد زياد منى

يمكن القول إن قراء كتاب «مكيافيللي والإسلام والشرق: إعادة توجيه أسس الفكر السياسي الحديث» (مجموعة مؤلفين ـ palgrave macmillan 2018) كافةً، سمعوا بمؤلف مكيافيللي «الأمير». ولعلّ كثراً قرأوه أيضاً وربما أكثر من مرة، لكن من المؤكد أن قلة فقط من قرائه انتبهت إلى مجموعة من «التهم» الموجهة للكاتب. المقصود هو القول إنّ ثمة مجموعة من الأفكار المسبقة التي تحيط بالمؤلّف وصاحبه، ولذا وجب تصويب بعضها معتمدين على آراء بعض أهل الاختصاص، حتى نتمكن من قراءة «الأمير» قراءة مجردة من الأحكام المسبقة، وهذا المؤلف موضوع عرضنا.

كثر من أهل الاختصاص يقولون إن آراء مكيافيللي (1469-1527) كثيراً ما تم تأويلها على نحو خاطئ، وأنّ كثيراً من القراء يشعرون بالانزعاج من تلك الآراء. لكن هذه المشاعر السلبية ناتجة من قراءة غير متمعّنة للمؤلف الشهير. إذ يتهمون صاحبه بأنه أقر بمبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» (وهو مبدأ جماعة الإخوان المسلمين بالمناسبة)، وأنّ «على القائد الكذب على شعبه»، وأن «على القائد الحكم باستخدام القوة». الادعاء بأن هذه مبادئ مكيافيللي، نتاج من قراءة سطحية لكتابه. فكل ما قاله مكيافيللي في المؤلف إنّ ثمة ظروفاً تكون فيها المصلحة العامة أهم من الوسائل، وأهم من فضائل تصرفات الحاكم أو أخلاقياته.

قال مكيافيللي في «الأمير» إنه من غير الممكن أن يكون «الحاكم» محبوباً من قبل كل الأفراد. لذا فعليه محاولة أن يكون محبوباً ومهاباً في الوقت نفسه، لكنه ينصحه باختيار المهابة لأن الأخيرة تضمن أن يخاف أعداءه من العقاب في حال خسروا المعركة. على القائد ألا يظهر أي ضعف، وإلا فإنه لن يهاب وستتم الإطاحة به.

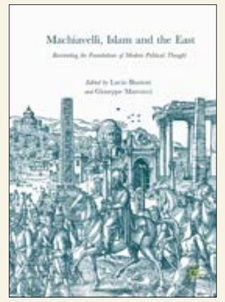

استعمال «الأمير» لإساءة تأويل الإسلام والشرق لم تقتصر على الكتّاب الأوروبيين

ومكيافيللي يعترف بأهمية القوة العسكرية، وأنه على الدولة أن تكون منظمة، حتى لو كان ذلك يتم عبر الكذب على الناس من أجل دفعهم لمحاربة العدو المشترك. طرح مكيافيللي هذا المبدأ الأخير لأن الكنيسة في أوروبا كانت مرتبطة بالسياسة في عصره، ما يعني التزام «الطهارة»، مثل عدم الكذب وما إلى ذلك. لكن مبدأ مكيافيللي الذي يرى أنه يحق للقائد الكذب يعني أنه كان يطالب بدولة علمانية لا مكان فيها للمؤسسات الدينية.

إن الغاية لا تبرر الوسيلة، لكن الغاية تعني أيضاً أنها قد تكون مهمة من أجل الحفاظ على المجتمع واستمراريته. عندها لا تكون الوسيلة مرتبطة بالأخلاقيات. ولأن القائد لا يمكنه إرضاء كل فرد في كل الأوقات، فعليه أن يكون بارعاً كي يتمكن من المحافظة على السيطرة على الدولة. ولذا، فقد تنشأ ظروف يكون فيها القائد ملزماً بالكذب على الشعب، من أجل تحقيق هدف عظيم لصالح المجتمع ككل.

كما يرى مكيافيللي وجوب فصل حياة الحاكم الخاصة من الدولة. فمهما كانت أخلاق الحاكم خليعة، فإن صورته في المجتمع على جانب كبير من الأهمية. فالحاكم قد يكون مهلهل الشخصية في حياته الخاصة، لكن عندما يكون مرتبطاً بالأعمال السياسية والدولة، فمن غير المقبول تعريض صورته للجرح والتشهير لأن ذلك سيؤدي إلى الفوضى وإلى انهيار الدولة.

الآن وقد قدمنا صورة مختصرة لأهم أقوال مكيافيللي ذات الصلة، ننتقل إلى قراءة هذا المؤلف المرتبط بحلقة بحث علمي عقدت في «سكولا نورمالِ سوبريور» في مدينة بيزا الإيطالية يوم السادس من أيار (مايو) 2013، في ذكرى مرور خمسمئة عام على صدور «الأمير». هذا المؤلف موضوع العرض يتضمن بعض الأبحاث التي قدمتها مجموعة من العالمات والعلماء في الندوة.

من المعروف أن الأديب الهندي سلمان رشدي قدم مكيافيللي على نحو إيجابي في روايته The Enchantress of Florence (عرافة فلورنسا)، وربط في الوقت نفسه بين الغرب وأواسط آسيا، وهو ما يفتتح به لوتشيو بياسيوري وجيسيبي ماركوتشي محرّرا هذا الكتاب. وهذا هو الهدف الأهم للمؤلف كما سيرى القارئ. لكن المحرّرين يشددان على أن مكونات «الأمير» يمكن قراءتها على أنها موزايك أوراسيوي واسع. فطبيعة الفترة الواقعة بين العصور الوسطى المتأخرة والعصور الحديثة المبكرة، تتسم بتواصل مستمر على حدود اللغة والثقافة والدين. لذلك فإن هدف هذا المؤلف المثير الإضاءة على إمكانية القراءة المتعددة لما يرد في صفحات مؤلف مكيافيللي، وأبعد مما جرى ومما اقترح في القرون الماضية. وهذا يتطلب الذهاب إلى ما أبعد من التبسيطات، بل حتى محاولات التقليل من قيمة فكر مكيافيللي، وتحويلها إلى مقتطفات من قواعد السلوك في الحكم، أو حتى محاولات تقديمه على أنه مفكر يعكس عُلوية القيم الغربية التي يهددها «صدام الحضارات» والتي مثل تنظيم إبراهيم البدري أحط صورها.

من أجل الوصول إلى هدف الندوة وبالتالي هذا المؤلف، فقد قسمه المحرران إلى ثلاثة أجزاء يحوي كل منها ثلاثة فصول.

الجزء الأول «من القراءات إلى القُرّاء» يسبر الرابطة بين خلفيات تعليم مكيافيللي العربي، وكيفية تقبل ذلك لدى كتاب تعاملوا مع الإسلام والإمبراطورية العثمانية. فمؤلف «الأمير» مدين كثيراً لـ «كتاب سر الأسرار» الذي كان أكثر المؤلفات المنسوبة خطأً إلى أرسطو، المكتوب في القرن الثامن في سوريا وتمت ترجمته إلى اللاتينية وإلى لغات أوروبية أخرى.

وكاتب الفصل لوتشيو بياسيوري («جذور إسلامية لأفكار مكيافيللي»، «الأمير» و«كتاب سر الأسرار») من بغداد إلى فلورنسا والعودة») يقول إن وجود مرجع إسلامي لدى مكيافيللي يوضح التشابه بين «الأمير» والفكر السياسي العربي، والذي ساهم في انتشار أفكاره وكتاباته وتقبلها في العالم الإسلامي.

المادة الرئيسة للجزء الثاني «أديان وإمبراطوريات» تركز على الاستعادة الخلاقة لكتابات لوتشيو بياسيوري التي تمت ـ دوماً وفق الكاتب ـ على يد مفكّرين إنسانيين وميشرين ورحالة، بهدف تأسيس مقارنة مع القوى الإسلامية.

الجزء الثالث «ما هو أبعد من الاستشراق» مخصص لتوضيح أن إساءة استعمال مؤلف «الأمير» لتأويل الإسلام والشرق أو إساءة تأويلهما لم تقتصر على الكتاب الأوروبيين.

ويوضح هذا الجزء وجود فكر سياسي عابر للثقافات في تلك الفترة. ودليل ذلك التشابه (والاختلافات) بين كتابات جلال مصطفى (1490-1567) وكتابات مكيافيللي، التي لم ينتبه إليها الباحثة بسبب دراسة كل منهما على نحو منفصل، دوماً وفق قايا شاهين الأستاذ المساعد للتاريخ العثماني في جامعة إنديانا، صاحب فصل «قصة مستشارَيْن: مكيافيللي وجلال زاده مصطفى والثقافات السياسية المترابطة في القرن الخامس عشر/ العاشر هجري». تكتفي بهذا العرض المختصر، ونوصي بقراءته لأهميته، عسى أن تتم ترجمته إلى اللغة العربية.

Machiavelli, Islam and the East: Reorienting the Foundations of Modern Political Thought. palgrave macmillan 2018. 268 pp. Edited by Lucio Biasiori and Giuseppe Marcocci.

سياسة

أمين صيقل: تحدّيات تواجه «إيران الصاعدة»

أربعون عاماً مضت على الانتفاضة الشعبية العارمة في إيران، التي يعرفها بعضهم بأنها ثورة، والتي قضت على حكم الشاه المرتبط بالاستعمازين البريطاني والأميركي، آخذين في الاعتبار أن الأخيرين هما من أعاداه إلى سدة الحكم بعد ثورة محمد مصدق في مطلع خمسينيات القرن الماضي. قليلة هي الدول التي تعرضت لمثل هذا الحصار من الغرب، وعدد أقل من الدول تمكنت من تجاوز آثار الحصار، من دون التخلي عن مبادئها أو الانحراف عن أهدافها. فالنبض الثوري ما زال يحدد سياسات البلاد الداخلية والخارجية، لكن من دون نفي أن النظام اضطر أحياناً إلى البحث عن حلول عملية/ نفعية لبعض المشاكل.

هل من سبب للخوف من «أطماع» إيران، كما يدّعي الرئيس الأميركي وغلمانه في الخليج الفارسي والعدو الصهيوني؟! للتذكير، إيران لم تغزُ أي دولة منذ عام 1798.

يناقش أمين صيقل في كتابه «إيران الصاعدة: بقاء الجمهورية الإسلامية ومستقبلها» (princeton university press 2019) تاريخ إيران، ويوضح كيف أن الظروف الداخلية والخارجية ساهمت في توحيد الأمة الإيرانية في الانتفاضة الشعبية عام 1979، ويوثق تاريخ الدولة السياسي، وتدخل الولايات المتحدة المستمر في شؤونها، آخرها تدخلها السافر وتحريضها على النظام عام 2017، هي ومعها مشيخات الخليج الفارسي السيبرانية ومعهم العدو الصهيوني.

لكن هذا المؤلف لا يحكي قصة الانتفاضة/ الثورة على الشاه، وإنما يناقش المعضلات والتحديات التي واجهت قيادة البلاد الجديدة بعد انتصار القيادة الإسلامية الجديدة.

يتعرض الكاتب أيضاً لمختلف منابع قوة النظام، سواء ما يسمى «القوة الناعمة»، أي علاقات النظام مع مختلف القوى الوطنية ومع الشبكات العابرة للقوميات، والتي ساهمت إلى حد كبير، «في تعزيز تأثير إيران في الإقليم وتوسيعه»، وكذلك ما يسمى القوة غير الناعمة أو القوة الغليظة، أي الجيش المكلف بحماية البلاد والحرس الثوري المكلف بحماية الثورة والنظام الإسلامي والأمن القومي.

كذلك يبحث الكاتب في علاقات إيران الدولية، وخصوصاً علاقاتها مع روسيا، رغم مخاوفها التاريخية منها، ودعمها سوريا والتدخل في أفغانستان وغير ذلك، ويعثر فيها ـ كما يقول ـ على أسباب عداوة واشنطن للنظام. كما من غير الممكن تجاهل أن تشكيل أعراب الخليج الفارسي «مجلس التعاون» في الخليج كان بأمر أنغلو ـ أميركي لمواجهة النظام الثوري في طهران. فتشكيل ذلك التحالف الهش عنى أن أعضاءه يرون أن إيران الثورية هي العدو الواجب التوحد لمواجهته، وليس كيان العدو الصهيوني، وهو ما يصرح به حالياً غلمان الخليج ليل نهار.

آخر أوجب الإشارة إليه هو دعم واشنطن وتوابعها من مشيخات الخليج السيبرانية لحرب نظام صدام حسين على إيران وإمداده بالأسلحة المتطورة ودفع غلمانها إياهم لدعمه مالياً.

في ظننا، أن الكاتب لم يمنح معاداة النظام لكيان العدو ورفض أي صلح معه وعدّ فلسطين أرضاً مقدسة وجب تحريرها، في قلب الموقف الذي يزعج واشنطن وغلمانها في المنطقة بمن فيهم نظام العسكر في مصر، فيما الأسباب الأخرى تفرعات من الأساس.

يذكر الكاتب أنّ إيران تمكنت من التحول إلى قوة وسطى، رغم الحصار ومعاداة الدول المجاورة ـ وأولاً وقبل كل شيء معاداة واشنطن ـ لكنه يستعين بكتابات أهل الاختصاص في معنى «الدولة الوسطى». ويستخدم التعريف التالي لـ«القوة الوسطى» مدخلاً لتحليل مكامن قدرات إيران الحقيقية ضمن الإطار التاريخي والسياسي: القوة الوسطى قوة تتمتع بمثل هذه القدرة العسكرية والموارد والموقع الاستراتيجي، حيث تسعى القوى العظمى في وقت السلم إلى دعمها، وفي زمن الحرب، بينما لا أمل لها في الفوز في حرب على قوة عظمى، يمكنها أن تأمل في إلحاق كلفة على قوة عظمى تفوق ما يمكن أن تأمل الأخيرة في تحقيقه من خلال مهاجمتها.

يستنتج الكاتب من ذلك أن هذا التعريف يستحضر مركزية العوامل المادية في كيفية إدراكنا وتقويمنا النقدي للعظمة والحجم والقوة، ويضيف إنّ المقاربة الهرمية لمفهوم القوة الوطنية تدعم التحقيق التحليلي والتجريبي لهذا المؤلف لقدرات إيران المادية. سبب ذلك أن هذا النهج يقدم الفهم الأكثر تماسكاً وبديهية لـ«قوة وسطى» ويظل متحرراً نسبياً من الافتراضات التقليدية والأيديولوجية التي من شأنها أن تعوق بالضرورة التقويم الحكيم للقضية المثيرة للجدل مثل قضية إيران.

إن طرح تعقيدات تطور الجمهورية الإسلامية يثير عدداً من الأسئلة: ما طبيعة النظام الديني للجمهورية الإسلامية وهيكله؟ ولماذا آثار وجودها كثيراً من المعارضة الإقليمية والدولية، وخاصة من قوة عالمية مثل الولايات المتحدة؟ وما الذي مكّن الجمهورية الإسلامية من الخروج سالمة من هذه المعارضة الشرسة؟ وما الذي قاد إلى سلوكها الداخلي والخارجي غير التقليدي، الذي كان يغذي، على الأقل جزئياً، خوف الغرب من الجمهورية؟ وإلى أي مدى تقدمت في استخدام قدرات مواردها؟ وإلى أي مدى سمح لها هذا التقدم بالحفاظ على النظام الداخلي، وضمان قاعدة دعم شعبية مناسبة، ووضعها لاعباً رئيساً في المنطقة، وربما أبعد من ذلك؟ وما الطرق التي اتبعتها لضمان مصالحها في وجه مصالح جيرانها وقوى العالم، في الوقت الذي قدمت فيه نفسها كقوة ودية واستقرارية داخل النظام الدولي؟ هل ستكون قادرة على تجاوز موقف إدارة ترامب العدواني، كما فعلت تجاه القيادات الأميركية السابقة؟

منهج المؤلف في معالجة هذه الأسئلة وغيرها، هو في المقام الأول تحليلي وتجريبي وليس التفسيري نظرياً. بعبارة أخرى، هو يسعى إلى توضيح وتحليل القضايا التي ركزت على نحو بارز على تأسيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية وتطورها واستمراريتها ومواطن ضعفها في كل من معرضها السيادي والتفسيري الخارجي داخل المنطقة الإقليمية والمتغيرة، والظروف الدولية. وهو يفترض أن للجمهورية الإسلامية قصة فريدة من نوعها، متعددة الأبعاد، وأحياناً مأسوية، سياسية ثيوقراطية يجب أن تُروى وتسمع، إذا كان على المرء أن يكتسب رؤى واقعية وصحيحة حول كيفية عملها وتمكنها من المضيّ قدماً في وجه الخصوم الكثيرين.

يقرّ الكاتب بأن بعض ما يرد في هذا المؤلف يمكن العثور عليه في مؤلفات أخرى عن إيران، لكن ما يميّز مؤلفه في المقام الأول عن الآخرين هو التحليل التفصيلي الذي يقدمه للتفاعل بين السياسة الداخلية والعلاقات الخارجية لإيران، وطريقة التفاعل مع تقلبات الوضع الإقليمي والدولي لضمان بقاء النظام الإسلامي. وبعبارة أخرى، مع أن سلوك النظام اتخذ في كثير من الأحيان شكل ردٍ على الاستفزازات الخارجية، فقد مارس في الوقت نفسه دوراً رئيساً في توليد هذه الاستفزازات والاستجابة لها.

قسم الكاتب مؤلفه إلى ثمانية فصول، بما في ذلك الخاتمة.

يحدد الفصل الثاني المشهد عن طريق شرح مفهوم الثورة وتحليل الظروف الداخلية والخارجية التي ساعدت في اندلاع الثورة الإيرانية ومهدت الطريق لصعود الخميني إلى السلطة.

الطبيعة والبنية والعمليات التي أقام بها الخميني النظام الإسلامي ومكنت من التغلب على المعارضة الداخلية، والأعمال العدائية والخصومة الخارجية تشكل موضوع الفصل الثالث.

ويناقش الفصل الرابع بشكل حاسم تطور نظام الخميني في ظل خليفته خامنئي، الذي تمكن من مراكمة قدر من السلطة يساوي ما كان لسلفه، إن لم يكن أكثر، في مسائل السياسة الداخلية والخارجية. ويناقش الفصل الخامس بالتفصيل مسألة وفرة موارد الجمهورية الإسلامية ودورها في تحديد قوتها الاقتصادية والصلبة واللينة قاعدة أساس لتقويم مقدرة إيران على أن تكون لاعباً إقليمياً رئيساً. ويقدم الفصلان 6 و7 تحليلاً نقدياً لعلاقات الجمهورية الإسلامية مع جيرانها والقوى العالمية على التوالي.

الفصل الختامي يناقش بعض التحديات البارزة التي تواجه الجمهورية الإسلامية ويطرح السؤال ما إذا كان النظام الإسلامي الإيراني سيستطيع البقاء خارج تقاليد الخميني الجهادية أو ما إذا كان التقليد سيتوقف في وقت ما، ما يزيد من احتمالات اتخاذ إيران اتجاهاً مختلفاً. لذلك، فإنه يولي أهمية لتأثير الموقف السياسي المتشدد لرئاسة ترامب على العلاقات الأميركية الإيرانية ومصير الجمهورية الإسلامية نفسها. يوفر هذا المؤلف صورة شاملة للتغيير والاستمرارية في تطور الجمهورية الإسلامية، ويعدّ أحدث دراسة للجمهورية الإسلامية على مدى السنوات الأربعين الماضية، وفق ما يقول الكاتب.

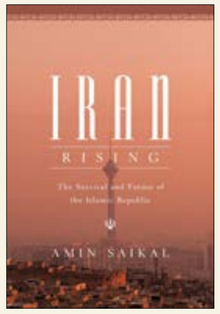

يبحث في علاقات إيران الدولية، وخصوصاً علاقاتها مع روسيا، رغم مخاوفها التاريخية منها

Iran Rising: The Survival and Future of the Islamic Republic. princeton university press 2019. 344 pp. Amin Saikal

تاريخ

كريس هارمن: التاريخ من تحت

من بَنى طيبات البوابات السبع؟
يقول، في صفحات الكتب ستعثر على أسماء الملوك؟
فهل كانوا الملوك من جَر كتل الصخور؟
وبابل، التي دمرت مرات كثيرة
من الذي رفعها مرات كثيرة؟
وفي أي منازل مدينة ليما ذهبية التلألؤ
عاش سكانها؟
وبنّاؤو سور الصين، إلى أين توجهوا
عشية انتهائهم من العمل؟
وروما العظيمة، المليئة بأقواس النصر،
من بناها، وعلى من انتصر القياصرة؟
وبيزنطة، التي كثيراً ما مدحتها
الأغاني، هل كان لساكنيها قصور فقط؟
وحتى في أطلنطس الخرافية، في ليلة
ابتلعها المحيط، الغرق ما زال يصرخ
على عبيدها
الإسكندر الشاب غزا الهند.
فهل كان وحده؟
وقيصر هزم الغال؟ ألم يصطحب حتى
طباخاً معه؟
وفيليب، ملك إسبانيا، بكى عندما غرق
أسطوله. هل كان هو وحده من بكى؟
وفريدريك الثاني ربح حرب السنين
السبع. من كان الرابح الآخر؟
في كل صفحة نصر؟
من طبخ في احتفاليات المنتصرين؟
ومن دفع الفاتورة؟
تقارير كثيرة
وأسئلة كثيرة.

هذه ترجمتي لقصيدة برتولد بريشت «أسئلة عامل يعرف القراءة»، التي افتتح الكاتب كريس هارمن بها كتابه الموسع «تاريخ العالم من العصر الحجري إلى الألفية الجديدة من منظور شعبي» (verso ـ 2017)، وقد ارتأينا أن نوردها لأنها تلخّص فكرته في جمل قصيرة. المقصود أن التواريخ التي عادة ما نقرؤها في المناهج المدرسية وحتى الجامعية، ليست سوى «التاريخ من فوق» كما يُقال. كتب التاريخ ما هي سوى أخبار الحكام والملوك والأباطرة والخلفاء، لا تواريخ الشعوب التي هي من تصنع التاريخ. لذلك، فإن أسئلة الأديب الألماني الماركسي التي تصرخ مطالبة بإجابات، مسوغة. موضوع التاريخ سلسلة من الأحداث تتابعت حتى أوصلتنا إلى ما نحن عليه الآن، يقول الكاتب، وهو منظّر الحزب التروتسكي في بريطانيا (حزب العمال الاشتراكيين). إنه قصة كيف استحلنا نحن، البشر، إلى ما عليه الآن. فهم ذلك مفتاح ما إذا كان بمقدورنا تغيير العالم الذي نعيش فيه، وكيفية إنجاز ذلك. فالديكتاتور في رواية جورج أورويل «1984» يقول: «مَن يملك الماضي يملك الحاضر»، الذي هو هدف الطغاة في الأوقات كافة. قبل أكثر من عشرين قرناً مثلاً، أصدر إمبراطور الصين أمراً بقتل كل من يستخدم الماضي لنقد الحاضر. والأرتيك قاموا في القرن الخامس عشر بتدمير وثائق الممالك التي سبقتهم في وادي المكسيك، ثم قام الإسبان بتدمير كل الوثائق في المنطقة عندما احتلوها. وكذلك فعل العباسيون بآثار الأمويين، وحتى بقبورهم.

انطلاقاً مما سبق، يؤكد الكاتب أن هدف عمله تقديم خطوط عامة لتاريخ العالم، وليس أكثر من ذلك، لكن آملاً أن يساعد بعض الناس في تقبل الماضي والحاضر. قال الكاتب إنه على علم بأنه سيتعرض لإجحافين ناتجين عن أحكام مسبقة أولها أن التغير المستمر في المجتمعات المتعاقبة نتاج الطبيعة غير المتغيرة للبشر. الإجحاف الثاني أن البشرية التي تغيرت في الماضي وصلت إلى نهاية التاريخ، وفق حكم فرنسيس فوكوياما، مستشار وزارة الخارجية في الولايات المتحدة، صاحب مقولة «نهاية التاريخ»، علماً بأنه تخلى عنها.

نكتفي بهذا العرض لأفكار المؤلف، وننتقل الآن إلى سرد محتواه.

قسم الكاتب مؤلفه إلى سبعة أقسام يحوي كل منها مجموعة فصول، على النحو الآتي:

1) صعود المجتمعات الطبقية: مدخل وخمس فصول هي:

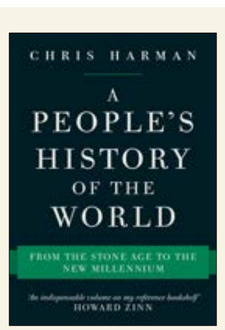

الديكتاتور في رواية «1984» يقول: من يملك الماضي يملك الحاضر

مدخل: ما قبل الطبقات:
1) «ثورة» العصر الحجري الحديث؛ 2) الحضارات الأولى؛ 3) التقسيم الطبقي الأول؛ 4) اضطهاد المرأة؛ 5) «العصور المظلمة» الأولى.
2) العالم القديم ويحوي ستة فصول هي:
1) الحديد والإمبراطوريات؛ 2) الهند القديمة؛ 3) الإمبراطوريات الصينية القديمة؛ 4) أولى المدن الإغريقية؛ 5) صعود الإمبراطورية الرومانية وانهيارها؛ 6) صعود المسيحية.
3) «العصور الوسطى» ويحوي ستة فصول هي:
1) قرون من الفوضى؛ 2) الصين: انبعاث الإمبراطورية؛ 3) بيزنطة: الحفرية الحية؛ 4) الثورات الإسلامية؛ 5) الحضارات الإفريقية؛ 6) الإقطاع الأوروبي.
4) التغير العظيم ويحوي أربعة فصول هي:
1) إخضاع إسبانيا الجديدة؛ 2) من النهضة إلى الإصلاح؛ 3) الآلام الحادة لولادة النظام الجديد؛ آخر ازدهار لإمبراطوريات آسيا.
5) انتشار نظام جديد ويحوي ستة فصول هي:
1) زمن السلام الاجتماعي؛ 2) من الخرافة إلى العِلم؛ 3) التنوير؛ 4) العبودية والعمل الماجور العبودي؛ 5) العبودية والعنصرية؛ 6) اقتصاد «العامل الحر».
6) العالم ينقلب رأساً على عقب ويحوي 11 فصلاً هي:
1) مدخل أميركي؛ 2) الثورة الفرنسية؛ 3) البعقوبية خارج فرنسا؛ 4) تراجع العقل؛ 5) الثورة الصناعية؛ 6) ولادة الماركسية؛ 7) 1848؛ 8) الحرب الأهلية الأميركية؛ 9) احتلال الشرق؛ 10) الاستثناء الياباني؛ 11) اقتحام الفردوس: كومونة باريس.
7) قرن الأمل والرعب ويحوي عشرة فصول هي:
1) عالم رأس المال؛ 2) الحرب العالمية والثورة العالمية؛ 3) أوروبا في حالة هياج؛ 4) ثورات في العالم المستعمَر؛ 5) «العشرينيات الذهيبة»؛ 6) الركود العظيم؛ 7) الأمل المخنوق: 1934-1936؛ 8) منتصف الليل في أوروبا؛ 9) الحرب الباردة؛ 10) الفوضى العالمية الجديدة.
استنتاجات: أوهام العصر.

A People›s History of the World From the Stone Age to the New Millennium. verso (2017). 752 pp. chris harman.

اقتصاد

الفساد أقدم آفة في التاريخ

لا شك في أن الفساد ينخر في أجساد كثير من بلادنا ومجتمعاتنا العربية، كما في دول ومجتمعات أخرى. ربما الفساد في بلادنا، في عالمنا غير المصنع، ليس بخطورة الفساد في الدول الصناعية، لكننا نعرف، جميعاً، مدى خطورته، الاقتصادية والمجتمعية والأخلاقية والفكرية وغيرها علينا أفراداً ومجتمعات. ليس الفساد بالأمر الجديد، إذ يوضح كتاب «محاربة الفساد عبر التاريخ ـ من العصور القديمة إلى العصر الحديث» (Oxford university press 2018) أن المسألة تاريخية وهنا تكمن أهميته حيث يوضح النقاط الآتية:

- يقدم المؤلف أول عرض تاريخي مديد للفساد ومحاربة الفساد في أوروبا.
- يناقش الفساد ومحاربته ضمن قرائن تاريخية مختلفة في بلاد الإغريق والإمبراطورية الرومانية، وفي آسيا الأوروبية وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا والبرتغال، كما الدراسات المرتبطة بمحاربة الفساد في رومانيا والإمبراطورية العثمانية وهولندا وألمانيا والدانمارك والسويد وألمانيا الشرقية (سابقاً) ضمن المراحل الحديثة المبكرة والمراحل الحديثة.
- يعرض تقديراً نقدياً للخطاب عن الفساد السائد في مختلف التهذيبات الأكاديمية، إضافة إلى الأصوات في الإعلام الشعبي أو تلك الصادرة عن سياسيين.
- يناقش المقاربات المؤثرة في دراسة الفساد ومحاربته ضمن سياقات تاريخية وجغرافية مختلفة، ويختبرها. محرّرو المؤلف (رونالد كروزي، وأندريه فيتوريا، وغي غيلتنر) قسّموا مساهمات المشاركين إلى خمسة أجزاء على النحو الآتي:

1) العصور القديمة: يضم ثلاثة فصول تغطي العصور الممتدة من العهود الإغريقية القياسية (أي من القرن الخامس قبل التاريخ السائد (ق ت س) إلى القرن الرابع (ق ت س)، إلى العهد الروماني (القرن الرابع من التاريخ السائد (ت س) إلى القرن السادس (ت س)). ومن الإسهامات في هذا الفصل توضيح دور الفساد في انهيار الجمهورية الرومانية.
2) العصور الوسطى: فترة هذه العصور تمتد خمسة قرون، دوماً بحسب المؤلّف. كما ينوه المشاركون في هذا القسم إلى أن العصور الوسطى، في أوروبا والشرق الأوسط وفق تعبير المشاركين، تعد مهد مؤسسات حديثة كثيرة، من المصارف إلى المستشفيات وإلى الدول، وهو ما يشرح مرونة التعاطي مع سوء التصرفات في الحيزين العام والخاص، أو انعدام القدرة على التعاطي معها. لكن الصورة المتولدة من الإسهامات في هذا القسم، توضح أن الأمر أعقد بكثير من المتوقع بما يعني ذلك من تبعات على صورة التقسيم بين ما قبل الحديث والحديث. وما يهم القارئ هنا على نحو خاص أن فهم الفساد والإجراءات لمحاربته مثل تقديم العرائض والرد عليها وإعفاء الموظفين ومدققي الحسابات من وظائفهم، بقيت ثابتة في ظل حكم العباسيين والبويهيين والسلجوقيين بين القرنين التاسع والحادي عشر. لكن فجوة وجدت بين إجراءات محاربة الفساد وتطبيقها، أي بين منع الفساد ومعاقبته.
3) العصور الحديثة المبكرة: المادة الرئيسة في هذا القسم بفصوله الثلاثة، هي العلاقة بين محاربة الفساد والسياسة. كما يوضح القسم دور بنية المجتمع السياسية وديناميتها، ووزن المحسوبية ووظيفتها الاجتماعية وأشكال الوصول إلى الثروة وتفشي الخدمات غير الرسمية وضوابط الحكومات العملية في تشكيل الموقف من الفساد واستجابة الحكومة له.

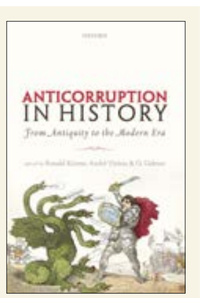

4) من العصور الحديثة المبكرة إلى العصور الحديثة: موضوع هذا القسم، بفصوله السبعة النقاش في ما إذا فهم الفساد ومحاربته من العصر الحديث المبكر إلى العصر الحديث قد حصل. الميزة البارزة والأساس في هذا الانتقال المفترض هي سيادة القانون وفصل رسمي- قانوني بين الفضاءات الخاصة والعامة ودمقرطة بيروقراطية المجتمع والسياسة التي تعد أساساً في التقليل من تفشي الفساد. هذه الفترة تمتد من أوائل القرن السابع عشر إلى أواخر القرن التاسع عشر.
5) التاريخ الحديث والمعاصر: يناقش هذا الفصل بفصوله الثلاثة الفساد ومحاربته في المجتمعات الأوروبية الحديثة. ومن القضايا التي تناقشها فصول هذا القسم قضية لوكهيد وقضية فُلبكْ وفساد الدولة في الجمهورية الألمانية الديمقراطية السابقة.

Anti-corruption in History, From Antiquity to the Modern Era. Oxford university press 2018. 454pp. Ronald Kroeze (Editor), Andre Vitoria (Editor), Guy (Geltner (Editor